آثار السوس

لما استدعت الحكومة الفرنسوية المسيو دمورغان من هذا القطر بعثت به الى السوس عاصمة بلاد الفرس الاقدمين في خوزستان ليبحث عن آثارها. والرجل موفَّق في البحث عن الآثار القديمة كما يظهر مما اكتشفهُ في هذا القطر مدة اقامتهِ فيهِ مديرًا لدار التحف المصرية فكشف في السوس من الآثار ما يدل على ان تلك البلاد كانت مهد الآريين وان العمران المصري مقتبس منها وهاك بعض ما قالهُ في هذا الصدد

"وجدتُ في التلّ الباقي من انقاض القصر كثيرًا من مناجل الصوان لا يزال في بعضها القار الذي كان يلصق صوانها بخشبها. وعليها كلها دلائل الاستعمال الطويل كما يرى في المناجل التي وجدت في القطر المصري. وقد قلت في كتابي عن اصل المصريين ان زرع القمح لم ينشأ في وادي النيل لان القمح لا يوجد فيهِ ولا ما في حولهُ برّيًا وقد استدللتُ من ذلك ومن ادلة اخرى مثلهُ ان المصريين الاولين جاؤا القطر المصري من اسيا او ان العمران جاءهم من اسيا فلو عملت حينئذٍ ان مناجل الصوان التي وجدت في مصر يوجد مثلها في خرائب بلاد فارس لكان دليلي اقوى وامتن لا سيما وان القمح ينبت برّيًا بين النهرين وفي البلاد المجاورة حتى في تلال السوس"

وانقاض المباني التي وجدت حتى الآن الحديث منها حديث جدًّا من عهد الدولة السلوقية والساسانية وترى فيهِ جدران البيوت مبنية بالاجر المربع والغرف صغيرة وفيها ميازيب ينزل فيها ماء المطر عن السطوح ويجمع في الصهاريج. وتحت هذه الانقاض آثار مبانٍ اقدم منها فيها حجارة جيرية مثل الحجارة التي تستعمل في مباني داريوس الاول وارطخشست ووجدت هناك كأس من المرمر الشفاف عليها اسم زركسيس وهي اول مرة وجد فيها اسم هذا الملك في خرائب السوس

ومن الآثار الكثيرة التي وصفها ده مورغان بلاطة طولها متران وعرضها متر في اعلاها ثلاث رسوم للشمس والشعاع منتشر منها وتحتها صورة ملك على رأسهِ خوذة وفي يمناهُ سهم وفي يسراهُ قوس وفي منطقتهِ خنجر وهو طويل اللحية مثل الكلدانيين والاشوريين وتحت قدميهِ اشلاء اعدائهِ وامامهُ واحد منهم سقط جريحًا بسهم اصاب صدرهُ وهو يحاول نزعهُ منهُ ووراء هذا رجل رفع يديهِ كالمتوسّل المتضرّع وتحت الملك ثلاثة من حملة الاعلام وكلٌّ منهم حامل علمًا بيدهِ اليمنى وواضع يدهُ اليسرى على خنجر في منطقتهِ. وتدلُّ الرسوم على ان البلاد جبلية وقد سار فيها هذا الملك تابعًا اعداءهُ فاثخن فيهم ولا يزال بعضهم بعيدًا عنهُ. وكان فوق رأسهِ

كتابة ولكن النار فعلت بها فازالتها غير ان الصور حولها لا تزال محفوظة وهي تدلُّ على ان صنّاعها كانوا امهر من الكلدانيين والاشوريين " وقد ظن الاب شيل ان هذه البلاطة من عهد الملك نارام سن البابلي ابن الملك سرجوم الذي نشأ سنة ٥٦٥٠ قبل المسيح

وهناك ادلة كثيرة على ان السوس حرقت بالنار منذ عهد قديم وذلك يؤيد ما ورد في كتابات الملك اشوربنيبال عن نفسهِ حيث قال " اني حرقت قصر مدينة السوس الذي اساسهُ من الرخام وقلبتُ جدرانهُ رأساً على عقب وفي مدة شهر دوَّخت بلاد عيلام من طرف الى طرف وابعدت عن حقولها اصوات الناس وانغام الطرب وجعلتُها بالوحوش والافاعي والغزلان "

وخلاصة ما وصل اليهِ المسيو ده مورغان ان هذه المدينة قديمة جداً وقد توجد فيها آثار منذ عشرة آلاف سنة او اكثر تدلُّ على بدء العمران وانهُ لما خربها الاشوريون نهبوا ما نهبوهُ منها وما لم يستطيعوا حملهُ من تماثيلها ونقوشها قلبوهُ وابقوهُ في مكانهِ. وان المدينة لم تبنَ بعد ما خربها الاسكندر ذو القرنين وعفيت آثارها القديمة قبل الدولة الساسانية

سان غوثار

من كتاب شاهد اوربا وابيركا لحضرة موسيو عزنار افندم ادرار بك الياس

اما وقد بدأت بذكر ما في سويسرا من عجائب المناظر التي تؤثر في الذهن فاني اراني مقصراً في القليل الذي سيجيء لان هذه البلاد كعبة المتفرجين ومثابة السراة والموسرين ومصيف السائحين وهي فردوس اوربا وجنتها الفيحاء تجمعت فيها محاسن الجبل والوادي والسهل والبحر والنهر وتناسقت على شكلٍ يسحر الالباب ويقصر عن وصفهِ ابرع الكتاب . ولطالما سبقني البارعون الى تقرير الحقائق عما في هذه البلاد الحسناء من نعيم المناظر وبديع الامور فانا اكتفي هنا بقليلٍ مما رأيت فيها وقد كنت قصدتها من الاسكندرية في شهر يونيو سنة ١٨٩٥ ومررت ببعض مدائن الطليان قبل الوصول اليها مثل برندزي والبندقية وميلان ترى الكلام عنها في باب ايطاليا حتى وصلت حدود سويسرا ورأيت جبالاً شاهقة تعلو قممها الى السحاب هي جبال الالب المشهورة ليس في اوربا ارفع منها قمة ولا اوعر مسلكاً ولا انعم منظراً فلما مدت خطوط الحديد في كل الممالك وكان لا بدَّ من خطٍ حديدي يمرُّ في تلك الجهة ويربط هذه الممالك بعضها ببعض تعاونت المانيا وايطاليا وسويسرا على مدهِ في جبال الالب . فانت اذا ركبت القطار من حدود ايطاليا ترى العجب من كثرة ما يخترقهُ هذا القطار من الجبال يدخل في نفقٍ ويخرج من نفق طول الطريق حتى ان عدد السراديب هذه في ذلك الخط

لا يقل عن ٦٤ فضلاً عما ذكرهُ من الجبال وما ختموا من الصخور ومهدوا من الطرق مدة تسع سنين انفقوا في خلالها ١٢٠٠٠٠٠٠ كيلو من الديناميت لنسف تلك الجبال الهائلة. واطول نفق في هذا الخط كلهِ النفق المعروف باسم سان غوتار وهو جبل شاهق طويل عريض نقبوهُ من جانب الى جانب والقطار يمرُّ في جوفهِ و يظل ثلث ساعة سائرًا سيرًا حثيثًا في بطن الارض لان طول النفق هذا نحو مائة كيلو متر يقضيها المسافر في ظلام دامس ودخان متكاثف وتعتريهِ رهبة ودهش غريب متى فكر انهُ تحت الارض يسعى مجدًّا وبين فوقهِ جبال الالب الهائلة فيصفر عجبًا لهمة الرجال وعظمة الانسان اذا تضافر وتمَّ الغرائب

وماذا اقول عن محاسن هاتيك الربوع التي يخترقها القطار في خط سان غوتار وانا لو اوتيت مقدرة اعظم الواصفين ما قدرت على عشر معشار الذي يليق بعظمة هذه المناظر الفخيمة وهي مقصد الطلاَّب ومطمع الروَّاد من كل بلاد فان قوى الطبيعة كلها تضافرت وتعاونت هنالك وعرضت من انواع الحسن الباهر ما يخلب الالباب ويفتن الانظار فبين انت في ذيالك القطر العجيب تسير في سهل دبجتهُ يد الطبيعة باشهى الاعشاب وابهى انواع الزهر والشجر الباسق اذا انت على ضفة جدول لمائهِ خرير يلذُّ للسمع وقد راق زلالهُ ورق استرسالهُ ورصعت جوانبهُ بوشي من الخضرة واشكال الزهر الغريب تحملك على الظن انك في ديار النعيم حتى اذا ضاع فكرك في التأمل ببدائع هذا السهل رأيت انك فوق جسر عظيم يمتد من جبل الى جبل كانما هو معلق بينهما وتحتهُ الوادي تجري فيهِ الانهار حتى اذا اجتزت ذلك الجسر سرت الى جانب المجرى سيرًا متموجًا متعرجًا كانما القطار افعى تنساب بك ما بين تلك المروج البهية والضفاف الشهية وتقع في حيرة الى اي الجانبين تحوّل الانظار الى جانب الوادي وما يليهِ من خضرة نضرة ومنازل رصّعت بها الجوانب ترصيعًا وقد التفت من حولها الاغصان على شكل بديع وماء يتسيك متاعب الدهر واحوالهُ أم الى الجانب الآخر حيث قام جبل شاهق تخيم في قمتهِ سحاب تتساقط منهُ كرات المطر كانما هي اللؤلؤ والدر على تلك الاعشاب الندية ومن دون السحاب ثلج يجلل قمة الجبل و يزيدهُ مهابةً وجمالاً ومن دون الثلج صخور بينها شجر تحنُّ النفس الى ذكر مثلهِ وتصبو الى التظلل طول العمر بفيئهِ لا سيما وقد جرت من بين تلك الصخور والجبال جداول ماء معين يتدفق في هاتيك المسالك البهيَّة تدفقًا يروق للناظرين ويتساقط من صخر الجبل فيريك اعجب ما رأيت من اشكال الجنادل لا سيما وهي تغيب اونة وتظهر اخرى ما بين هاتيك المسالك التي يتمشق القلب ذكرها وتمثل للراقي منتهى العز وحد الاعجاز في الجمال الباهر